محمود درویش

تعقيباً على التحركات الأخيرة باسم الثقافة

أول اشتغالي بالنقد الأدبي بعد عام ١٩٦٧ لم أكن أعرف أن النقد الأدبى بمثل هذا الاتساع وهذا التعقيد ، وإن أنت راجعت دليلاً للنقد الأدبى ستقف على تعدد أنواعه ، فهناك النقد: الحواري ، والسياقي، والظاهراتي ، والماركسي، والنسوي ، أو نقد الجنوسة، والنفساني مع التحليل النفساني والنقد الأسطوري ثم هناك النقد المعروف بالواقعية السحرية الذي ظهر في أمريكا اللاتينية على يدي بور خيس وماركيز. وانتقل كثير من هذا النقد إلى الأدب العربي منذ المدرسة الكلاسيكية الحديثة في الشعر وعند جماعة الديوان والمدارس اللاحقة. وعلى المستوى العمودي طال النقد النص والخطاب والدال والمدلول والذات ، كمن يستخدم التأويل (الهرمنيوطيقا) كأداة للتحليل .

أما هنا فقد سارت الأمور بشكل جيد، أيام كثرت منابر الأدب، المجلات الدورية والصحف اليومية، والتي كان لها دور ها، وقد

أما اليوم فقد وصلنا إلى وضع اختفت وسائل النشر الجيدة، أعنى المجلات المتخصصة، واحتفى معها الحوار والندوات الجادة وبعضها كان يجري في وزارة الثقافة نفسها واليوم أيضاً كثر الكتاب و هبط مستواهم وزادت شراستهم ورفضهم

للنقد رغم تواضع ما يكتبون. ووجدوا عند كثيرين ممن لا علاقة لهم بالأدب أمثو لات جاهزة لرفض النقد ، إن طال أناسا بعينهم . مع أن دور المؤلف في العالم يتراجع فمن الاهتمام بالكاتب إلى الاهتمام بالنص إلى الاهتمام بالقارئ، والناقد الجيد قارئ متقدم. و هكذا تزايد عدد اللامحسوبين عندنا حتى أن بعضهم ارتقى إلى

مستوى ما هو مقدس ومحرم ويضاف إلى أقانيم القداسة العديدة التي تطيح بالحريات وبحق التساؤل والنقد .

وينال كثير من الكتاب الشهرة ليس بما ينتجون، بل بوضعهم الاجتماعي ومعرفتهم لفلان أو علان ممن لا علاقة لهم بالأدب والثقافة ويصبح النقد هنا عديم الأهمية .

لقد كان هناك اتحادات قادها أخوة من فتح ، ونجحت هذه الاتحادات رغم بعض الأخطاء . أيام كان يأتي كتّاب من القطاع ومن داخلنا، ومثل كبار الكتاب رافعة أدت إلى تقدم الحركة الأدبية والنقدية، وارتقت أجناس الأدب في معظمها ،واليوم يتراجع الأدب والنقد رغم ضرورة متابعة ما يجري على أرض الواقع وتعرّجاته.

الموظفون والكتاب المبدعون

باختصار، يحدث هذه الأيام ما يلي: يأتي كاتب من داخل المحافظة أو من خارجها ليحاضر في الأدب مثلا ، يدعى الكتاب المتعاونون مع مكتب وزارة الثقافة كي يغنوا النقاش، ثم يحدث ما يلي:

ينشر مدير مكتب وزارة الثقافة في المحافظة في الصحف، فيضم اسمه أولا ويعظم دوره ثم يأتي اسم صاحب مكان الاجتماع ثم ينشر اسم مقدم المداخلة أو المقاربة ، أما المساهمين من الأدباء فلا يذكر دورهم أبدا ، وبعضهم أكبر سنا وأشهر من المدير العزيز بدرجات، من المدير الذي لا علاقة له بالأدب، و غالبًا منا يقوم المدير بصياغة مضمون المداخلة كما يريد. و على هذا فهو إذن المبدع الأول ولا أحد ينافسه ، ولأنه تابع لـوزارة الثقافة الموقرة فإن وزير الثقافة هو الكاتب الأول في البلاد ، ويطرق الكتاب بابه يرجونه في أمور تهمهم إن سمح

اتحاد الكتاب

وان قلت إن لنا اتحاد يمثلنا، وننشط من خلاله، تعرف أن هذا الاتحاد مجرد بنية هامشية ملحقة بمنظمة التحرير تفتح لها حنفية المساعدات حسب الظروف ومدى الرّضى عن الرئيس والحنفية هذه الأيام مغلقة

لقد سمعنا بإعادة صدور مجلة (الشعراء) وفرحنا ، ثم فوجئ المهتمون بأنه لم تصرف للاتحاد النقود اللازمة لذلك، وذلك وببساطة لأن الوزارة فقيرة ولا مال لديها لذلك.

واليــوم تجري تحركات وبأعداد كبيــرة من محافظة لأخرى، ذهبنا لرام الله إلى قاعة الهلال الأحمر ، أعداد هائلة، وطرحت أسئلة على شخصيات كبيرة ولكن لا علاقة لها بالأدب.

و هناك اجتماع كان سيعقد في محافظة نابلس وحالت ظروف دون ذلك وخسرنا الفرجة على فرقة الدبكة وعلى أمور ترفيهية أخرى، والنقود هنا موجودة.

واليـوم تتعاظم الاحتفالات، ويمسـك أناس كبــار خارج إطار الأدب بزمام الأمور فهم أخبر وأعرف من الكتاب أنفسهم. لقد عرفنا وعلى امتداد سنين كثيرة أن الإبداع فردي، ثم يجرى النقاش الجاد أو يكتب النقد لتعزيز دور النص، أما الآن فلا نقاش ولا نقد بل احتفالات وهياج لا يصل إلى مستوى المهرجانات المنظمة.

لقد حلمت شخصيا بالمؤتمرات ، مؤتمرات يحضّر لها جيدا وما زلت أذكر المؤتمر الدولي الذي عقد في مدينة بيرزيت، وكان له أثر جيد على مجمل الحياة الأدبية هنا ، فلماذا لا يكرر ذلك ؟!! فيهل علينا الخير ، نتعلم ، ونحضر لمزيد من الإنتاج والإبداع ولو بقدر ما مهما كان ضئيلا.

أهجس و لا أعرف يقينا أن ما يجري لم يصل إلى درجة السياسة العامة للسلطة ، وإنما هناك بعض المسؤولين لهم أيدٍ متنفذة لا تمتد لتختبر مدى سيطرتها.

لست متشائما ولو كنت كذلك ما كتبت، أملي أن يتواتر النقد وأن تتضافر جهود الأدباء عندنا.

مبروك الجائزة لأخي محمود شقير وهو يستحقها ومبروك للشاعر على الخليلي على اعتبار أنه كاتب أو شاعر هذا العام، ويتوقع أن تنشر أعمالهم الكاملة وأن يشملها الدارسون بالدراسة بما يناسب موقع وسمعة كل منهما.

ولننظر لدور النقد عندهم: لقد جاءت أعمال جاك ديريدا الناقد التفكيكي كمراجعة لأعمال عمالقة مثل أفلاطون وروسو و هيجل وأرسطو وباطاي، ومارست أعماله حقها في أن ترفع وأن تخفض وقد فعلت.

إنه النقد إذن بديل الفلسفة اليوم وابن اللغة، وعلى مستوى اللغة العربية ما زال النقد في أقطار مثل المغرب يذكرنا بانتقاصنا لقدرة لغتنا وتمام وجودها، فاللغة اليوم قواعد وبلاغة وعروض.

والسؤال أو الأسئلة هي:

أين علم المعجم ، و علم التأويل و السيمياء التي بر عنا بها سابقا، كلها علوم لغوية وضع أجدادنا أسسها الأولى ولم يتابع ذلك أحد سوى في بعض البلدان العربية وقد خصصت المغرب بذلك لأنها عاصمة الثقافة العربية الآن ، هم الذين كانوا يتطلعون دائما نحو المشرق ، و هم الذين كانت لهم حارة في القدس . وفي البلاغة ما زلنا نفتقر إلى معرفة ما يسمى بالاستعارة التفاعلية التي قد تنهض بنص صغير.

وها هو الروائي العربي الجزائري واسيني الأعرج يقدم لرواية من رواياته بالاستعارة التالية:

« كأسي انكسرت مثل قهقهة عالية»

المجتمع العربي الفلسطيني في فلسطين ٨٤ ما بين الاهتمام والنسيان

قبل النكبة عام ١٩٤٨ كان الشعب الفلسطيني كباقي الشموب العربية يعيش في مرحلة بداية استعادة تطوّره وبعث حياته الثقافية، وبدأت أنذاك تنمو في يافا وحيفا والقدس إلى جانب المدن الفلسطينية الأخرى حياة ثقافية مزدهرة، فتأسست في هذه المدن المسارح والصحف والمجلات ودور النشر ودور السينما ودور الإذاعة، وكانت تبشّر بمستقبل ثقافي وحضاري كبير، وتفاعلت هذه المدن مع الحياة الثقافية العربية والعالمية، حتى أنه أقيم في حيفا مسرح يوسف و هبه و غنت فيها أم كاثوم وحصلت فيها على لقب كوكب الشرق، وغنى فيها فريد وأسمهان، وغنى محمد عبد الوهاب في يافا والقدس، ونشطت الحركة الأدبية في هذه المدن بشكل خاص، فاستقطبت أبناء المجتمع الفلسطيني ليتفاعلوا مع الحياة الثقافية المزدهرة والنامية، إلى أن جاءت النكبة ووأدت الحياة الثقافية، وجثتها اجتثاثًا، وهجّرت النخب المثقفة والنخب الاجتماعية والاقتصادية. و هجّرت العرب الفلسطينيين من طبريا وصفد، ثقافية وإبداعية». ولعبت الأحداث الدامية مثل يوم الأرض وهبة بالإضافة إلى هدم مئات القرى وتهجير أهلها. فحكمت وتحكمت إسرائيل بالأقلية العربية الفلسطينية التي بقيت على أرضها ببطش قانون

الطوارئ والحكم العسكري الذي دام لعقود. لكنّ الحياة الثقافية سرعان ما بدأت تنبعث كعنقاء الرماد وأزهار النار من حطامها، فتفاجأ العالم العربي مثلما فوجئت إسرائيل من الصوت الوطني والقومي والإنساني المقاوم داخل الأراضي المحتلة، فاحتفى العالم العربي بالأدب والشعر «المقاوم» كما أطلق عليه الأديب والمناضل الشهيد غسّان كنفاني، فبرزت أسماء هامة، لا تزال تؤثر في الأدب العربي والعالمي مثل محمود درويش وسميح القاسم وأميل حبيبي وتوفيق زياد وحنا أبو حنا وراشد حسين وغير هم ولا تزال الأجيال المتعاقبة من الكتاب

والشعراء والفنّانين تكّرس هذه الثقافة وترسّخها.

و لا بدّ للتنويه أن مفهوم ثقافة المقاومة اتسع مع

مرور الزمن، وتجاوزت المفهوم السياسي،

أخرى إلى تبني تعريف أكثر دقة ، معتبرة المثقف

وإذا ما نظرنا إلى المدرسة الماركسية نجدها تقسم

المثقفين عموما إلى فئتين: الأولى هي فئة المثقفين

البرجوازيين المتناقضة مع شريحة المثقفين

الثوريين وتعرف الفئة الأولى بمثقفي السلطة

أو مثقفي البلاط ، بينما تعرف الفئة الثانية بمثقفى

الشعب، أو المعارضة وقد يصلح هذا التصنيف

عندما تكون السلطة في خطمتعارض مع الجماهير

الكادحة والمظلومة . وفي حال اندلاع التناقض

بين السلطة والطاغية والجماهير المحرومة تتضح

المواقف ويحدث الاصطفاف ، ويأخذ كل مثقف

موقعه النضالي ، فإما أن ينحاز إلى الشعب أو

يتصدر للدفاع عن السلطة الديكتاتورية الطاغية

. أما المثقف الثوري فينصب نفسه مدافعا حقيقيا

عن قضايا الشعب معرضا نفسه لأشد أنواع الخطر

إلا أن الثقافة لا تنحصر في هاتين الفئتين

المتناقضتين ، فالساحة الثقافية لا تخلو من المثقفين

الانتهازيين أو المتقلبين الذين لا لون و لا طعم لهم

ولا رائحة ، فهذه الفئة لا ترى في التناقضات

المجتمعية سوى مصالحها الذاتية الضيقة يميلون

حيث يميل التيار ويركبون الموجة الرابحة أبدا

دون أي شعور بالانتماء ودون اتخاذ مواقف

واضحة ، يتخذون مواقف بينية ويمسكون العصا

من الوسط وما يهمهم فقط هو تحقيق المكاسب

الذاتية واقتناص المواقع المتقدمة والمكاسب

يعالج هذا التصنيف المسالة الثقافية في حالات

التناقص الاجتماعي أو الطبقى داخل المجتمع

الواحد من خلال الفرز أو الاصطفاف بين شرائح

المجتمع الواحد ، أما في حالات الصراع الوطني

ضد عدو خارجي كما هو الحال عندنا ، فالمقاييس

مختلفة تماما ، وهذا ما يسهل على المثقف مهما

بلغ من وعي أن يشق طريقه ويحدد مساره في

وهنا نأتي على التطرق إلى تلك الفئة من المثقفين

الثوريين الذين انخرطوا في صفوف الحركة

الوطنية الفلسطينية المنضوية تحت لواء منظمة

التحرير الفلسطينية (م. ت. ف). وأخص بالذكر

تلك الفئة التي انخرطت في النضال الوطني بشكل

مباشر مقدمة عصارة فكرها وإبداعها خدمة

للقضية الفلسطينية بهدف رفع الظلم المفروض

على كاهل الشعب كله دون تمييز اجتماعي أو

طائفي أو فئوي ومن هؤلاء المثقفين الوطنيين

من تعرض لأشد أنواع التنكيل داخل السجون،

ومنهم من قدم روحه قربانا على مذبح الحرية

أمثال غسان كنفاني وكمال ناصر وماجد أبو شرار

لم يقتصر عطاء هذه الفئة من المثقفين الوطنيين

وطلال رحمة وعلي فودة وغيرهم.

خط متناقض مع العدو المحتل .

كالتنكيل والسجن أو القتل

والمصلحة الشخصية.

كل من مارس كتابة فكرية أو أدبية أو نقدية ...

لتصل إلى كل الأبعاد الإنسانية. وبناء المجتمع العربي الفاسطيني بمؤسساته المدنية والتطوّر الاقتصادي، والتعليم العالى، وتطوير المشهد الثقافي برمّته، تدخل في ثقافة المقاومة، فالمقاومة هي التمسَّك بما تبقى من أرضنا التاريخية، والعيش بكرامة وانتماء لشعبنا وأمتنا وقيمنا الإنسانية، دون تناز لات، وفرض حقوقنا المدنية على الدولة، كوننا أصحاب الأرض الأصليين. وقد مر المجتمع الفلسطيني داخل الدولة العبرية بمحطّات تاریخیة هامّة، جـزء منها مبنی علی مفارقات كبيرة فقد أعاد احتالال الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ إمكانية التواصل بين أبناء الشعب الواحد، ويذكر أنه حتى تلك السنة كان الفلسطينيون داخل إسرائيل منقطعين عن أبناء شعبهم، وحتى أنّ المستجدات من الكتب والصحف والمجلات لم تكن تصلهم، وهنالك من نظر إلى أن الازدهار الأدبي والثقافي الذي ساد في ظلّ هذه الظروف ليس أقل من «معجزة

الأقصى، وغيرها دورًا في توضيح السياسية الحقيقية التي تنتهجها المؤسسة الإسر ائيلية تجاه مواطنيها العرب، وهذا النهج العدائي يتزايد في ظل الانزياح الدائم داخل المجتمع الإسرائيلي حيال العرب الفلسطينيين في الداخل، من جهة ونظرًا لزيادة تمسك هذه الأقلية بثوابتها الوطنية

المؤسسة الإسر ائيلية، تسعى ومنذ نكبة ال ٤٨، إلى التذويب الثقافي وأسرلة من تبقى داخل الكيان العبري، من العرب الفلسطينيين. ومهمة كل المثقفين، والأحزاب والحركات والأطر العربية النظيفة، أن تواجه هذا المشروع الخطر، وهنا يلعب التثقيف الوطني والقومي، دورًا هامًا، و هو مهمة ليست سهلة، إذ أنّ هذه الأقلية تواجه مؤسسات دولةٍ، لها أذرعها العديدة الطويلة والقوية. فوزارة الثقافة الإسرائيلية تتدخَّل في المناهج التعليمية، وحتى أسماء المدن والقرى

العربية، تتعبرن بقرارات حكومية، والقوانين العنصرية الموجّهة ضد العرب مواطني الدولة تمرّ بأغلبية ساحقة في الكنيست الإسرائيلي، أمام عجز مقاومتها في ظل تلاشي اليسار الحقيقي في المجتمع الإسرائيلي، ومن أخطر ها قانون يهودية الدولة وقانون النكبة، بالإضافة إلى المؤامرات الخطيرة ومنها التجنيد القسري المفروض على فئة من الشعب الفلسطيني ومراكز التجنُّد الطوعي، ومؤامرة فرض الخدمة الوطنية والمدنية التي تسعى إلى تمهيد التجنيد الإلزامي على كل المجتمع العربي. كل هذا بالإضافة إلى محاولات محو الذاكرة الفلسطينية الموضوعة على الأجندة الإسرائيلية في أعلى مستويات الدولة، لذا فالتحدي كبير والمهمة ليست سهلة، لكن الرهان على وعي وانتماء شعبنا الذي تحدى المؤسسة الإسر ائيلية منذ النكبة ولا يزال، إذ أنّ الستة عقود ونيّف من حياة الدولة العبرية، لم تكن كافية لضرب الانتماء الوطنى والقومى، بل إننا نرى أن كلّ جيل يتمسك أكثر من سابقيه بانتمائه الفلسطيني والعربي، وهذا جزء من معجزة شعبنا، الذي يربك ويحير المشروع الصهيوني برمته.

لكن الأقلية العربية الفلسطينية داخل الدولة العبرية التي تعيش في ظل مؤسسة تعادي ثقافتها وانتماءها الوطني والقومي من ناحية، تواجه غبنًا غير مبرّر في ظل ثقافة عربية سائدة، لم تعتد بشكل عام أن تتعامل معهم كجزء طبيعي من الثقافة العربية العامة، وحتّى أن هنالك من يفصلهم عن شعبهم الفلسطيني رغم أن المشهد الثقافي في الداخل هو جزء من المشهد الثقافي العربي العام، كونه يتفاعل مع اللغة والثقافة والأدب العربي، وهو جزء من الهم والوجدان والمصير والمستقبل

الفلسطيني والعربي. والمؤسف أن إقصاء أو عدم اعتراف من قبل جهات معينة في الوطن العربي، وعدم التعامل مع الأدباء والفنانين والمثقفين والإعلاميين وحتى السياسيين من فلسطينيي ٤٨ يأتي بحجة التطبيع، وهذه الفكرة تساير مخططات عزل

___ سامي مهنا وإقصاء الجزء الباقي على ارضه من الشعب الفلسطيني والأمة العربية عن أمتهم، وتتواطأ مع الفكر الصهيوني الذي يسعى إلى تذويب وأسرلة مواطنيها الفلسطينيين، كي تصفي أخطر جانب في القضية التاريخية من وجهة نظرها. وقد نستطيع أن نفهم مسألة حصار هذه المجموعة التي تبلغ مليون وثلاثة مائة ألف من قبل إسرائيل، لكن لا يمكن أن تُفهم الجهات العربية التي تنتهج هذا النهج. وبالنسبة للتطبيع، فالخط الوطني من العرب الفاسطينيين داخل الدولة العبرية هم أوّل من يرفض التطبيع الثقافي مع المؤسسة الإسرائيلية، لأنها تتناقض مع الانتماء الوطني والقومي لكننا لا نرفض التعاون، مع قوى يسارية تقدمية من اليهود الشرفاء، الذين يناصرون قضيتنا، رغم أن هذه القوى باتت ضئيلة و هزيلة في السنوات الأخيرة، إذ إنّ الشارع الإسرائيلي بات يتجه في السنوات الأخيرة نحو التعصّب

والتطرف وأوّد أن أوضّح أنه ليس هنالك از دو اجية بين الانتماء الوطني وبين المواطنة في دولة إسرائيل، في ظلّ الواقع الراهن، بل العكس، لولا وجودنا كمواطنين في هذه الدولة، في ظل الواقع التاريخي، لما بقي شبر واحد داخل فلسطين التاريخية يحمل سمات التاريخ الصحيح. فالجليل والكرمل والمثلث بمساجده وكنائسه ولغته وانتمائه بقى كما كان قبل النكبة بفضل تمسكنا بالأرض حتى وإن كان الثمن الهوية الزرقاء وعلينا أن نسعى بكامل قوانا لتحقيق المساواة الكاملة مع الشعب اليهودي، كوننا أصحاب الحق الدائم على أرض آبائنا وأجدادنا، وذلك دون أن نتنازل أبدًا عن انتمائنا المطلق لشعبنا وأمتنا، هذه المعادلة صعبة وتحتاج إلى الكثير من الوعي والصبر والصمود والنضال والوحدة والمساندة

* رئيس اتحاد الكتّاب العرب الفلسطينيين ـ حيفا

المشهد الثقافي الفلسطيني

على القول أو الكتابة فحسب ، بل ذهب البعض إذا ما أخذنا الثقافة بمفهومها المحدد ، فثمة من إلى الانخراط في الكفاح المسلح تحت شعار « يعتبر المثقف كل من مارس كتابة إبداعية ، أو اسكت يا قلم وتكلم يا رصاص «بغض النظر عن أنتج فكرا أو أدبا متعرضا بذلك إلى قضايا المجتمع الانجازات أو الإخفاقات . السياسية والاجتماعية والفكرية ، وذهبت مدارس

ومع ذلك ورغم أفضلية فئة الذين ربطوا القول بالعمل على غيرها إلا إننا لا نستطيع أن نمر مرور الكرام على مثقفين بارزين أثروا بعلمهم وثقافتهم الرفيعة القضية الوطنية فمنهم من برز في مهجره دفاعا عن الشعب وعدالة القضية مثل المفكر الكبير ادوارد سعيد وهشام شرابي ووليد الخالدي وإبراهيم أبو لغد الذي عاد إلى أرض الوطن لكي يتابع مشواره النضالي وليسهم بشكل مباشر قولا وعملا في بناء السلطة الوطنية ومؤسساتها التعليمية والثقافية وقد أسهم هؤلاء الكبار بعطائهم الفكري والثقافي لتعزيز الرواية الفلسطينية في مواجهة الرواية الإسرائيلية المغرضة والمجحفة بحق شعبنا وقضيتنا العادلة.

ثورة ثقافية

في مرحلة المد القومي العربي انتعشت ثقافة فاسطينية ثورية ساد فيها الفكر المقاوم ورفعت فيها الشعارات الوطنية المعبرة عن أهداف الثورة الداعية إلى تحرير الأرض والإنسان ، شعارات وطنية استقطبت شرائح المجتمع الفلسطيني بأسره ، كما وجدت صدى إيجابيا لدى شرفاء وأحرار العالم اجمع شرقا وغربا ويعود الفضل لذلك إلى التماهي بين الشعارات السياسية المطروحة وبين الفعل الثقافي ، وكان لهذا التفاعل صدى إيجابيا على الإبداع الثقافي الذي ازدهر من خلال غزارة الإنتاج ورقى الإبداع فبرزت في مرحلة المد الثوري مجموعة من المثقفين الثوريين في المجالات كافة سطعت نجومهم مثل الشاعر الكبير معین بسیسو و توفیق زیاد و محمود در ویش و سمیح القاسم وكمال ناصر وأحمد دحبور وخالد أبو خالد وعز الدين المناصرة والشهيد علي فودة وهارون هاشم رشيد وأبو الصادق الحسيني وفدوى طوقان وغيرهم ، وسطع في مجال الفن التشكيلي الفنان إسماعيل شموط وتمام الأكحل شموط ومصطفى الحلاج وكمل بولاطة ومنى السعودي وعبد الرحمن المزين وعبد الحي مسلم وغيرهم ... وبرز في مجال الرواية أسماء لامعة مثل إميل

حبيبي ويحيى يخلف ورشاد أبو شاور وتوفيق فياض وماجد أبو شرار وسحر خليفة وليانة بدر وغيرهم ... وبرز في مجال الكتابة السياسية خالد الحسن وناجي علوش ومنير شفيق وصبري جريس وحنا مقبل إضافة إلى من ذكر سابقا من كتاب المهجر الكبار وغيرهم ...

وفي تنلك المرحلة تنافست مؤسسات منظمة التحرير على عملية الإصدار والطباعة والنشر، كمركز الأبحاث الفلسطينية في بيروت والإعلام الموحد ودائرة الثقافة والإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية إضافة إلى المراكز الثقافية والإعلامية التابعة لفصائل منظمة التحرير المتنوعة . تلك المؤسسات التي واكبت غزارة النشر وكثافة

التوزيع لكثرة ما يطبع من الإبداعات الفكرية والثقافية التي ينتجها المثقفون الفلسطينيون والعرب المنخرطون في الحركة الوطنية الفلسطينية أولئك الثوريون العرب الذين وجدوا في الثورة الفلسطينية ملاذا وحضنا دافئا تفاعل مع إبداعاتهم الفكرية والأدبية والثقافية

وهنا لا بد من الإشارة أن الإبداع الثقافي الفلسطيني لم يكن له أن يرى النور لولا وحدة الشعارات والأهداف السياسية القائمة على برنامج سياسي موحد قائم على أسس جبهوية متفق عليها شكلت الحد الأدنى للوفاق الوطني بين اثني عشر فصيلا فلسطينيا . فكان للوحدة الوطنية دورا أساسيا في تفجير الثورة الثقافية الفلسطينية في المراحل السابقة . كما ساعد في هذا المد الثقافي التفاعل الايجابي بين المستويين الثقافي والسياسي مما أطلق العنان لحركة ثقافية ثورية حقيقية وصلت أصداؤها إلى زوايا المعمورة كافة .

مرحلة السلطة

أما الآن وقد دخلنا في مرحلة التسوية السياسية وما نتج عنها من اتفاقات سياسية خضعت لموازين القوى القائمة كان الطرف الفلسطيني فيها هو الحلقة الأضعف ، فلا بدوأن تبرز هناك تباينات في المواقف والاجتهادات بين شرائح المثقفين أنفسهم كما ظهرت الخلافات بين المستويين الثقافي والسياسي .

مع دخول الثورة الفلسطينية مرحلة سياسية جديدة ، ومع طرح شعارات وأهداف مرحلية جديدة دخلت الثورة في تناقضات لم تكن معروفة من قبل فلكل مرحلة سياسية تناقضاتها ومعطياتها ، وهذا ما أحدث شرخا عميقا بين فصائل منظمة التحرير الفلسطينية سواء كان على الصعيد الفصائلي والسياسي أو على المستوى الثقافي فالرفض السياسى رافقه رفض ثقافي للاتفاقات السياسية المعقودة مع العدو . تلك الاتفاقات التي أضفت شرعية على الاحتلال وأدت إلى التنازل عن ٧٨ بالمائة من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ . و هكذا انقسمت الساحة الفلسطينية بين مؤيد ومعارض ، وفضل المعارضون البقاء في المنافي رافضين العودة إلى أرض الوطن ، وذهب البعض إلى المنافي الدولية . و لا ننسى الحواجز النفسية التي حالت دون تلك العودة المنقوصة أما فئة المؤيدين للخط السياسي المرحلي فقد عادوا إلى أرض الوطن المجتز أللإسهام في بناء مؤسسات السلطة الوطنية كمقدمة لإقامة الدولة الفلسطينية المرتقبة ضمن سياسة التعامل مع الأمر الواقع . فتحول المثقفون الواقعيون آلة بيروقراطيين يديرون المؤسسات شبه الحكومية ذات الاختصاص بما أوتي لهم من صلاحيات ضمن هامش سياسي محدود ، وبما اكتسبوه من مهارات إدراية ومهنية ، وبما يمنح لهم من موازنات شحيحة لتمويل المنتج الثقافي والإبداعي

المعبر عن تفاعلات المرحلة وإرهاصاتها.

من الطبيعي أن تخصع الكتابات والتحليلات

تملى شروطها على الثقافة والإعلام وقطاع التعليم ، وأن تتدخل في كيفية طرح الرواية الفلسطينية

_____محمود اللبدى

السياسية إلى حساسيات المرحلة ، وأن تأخذ بعين

الاعتبار الحساسيات الإسرائيلية التي تحاول أن

حول النكبة والهجرة والقهر اليومي الخ ... هذا إضافة إلى الإخفاقات الناتجة عن سياسة التواطؤ الدولية وسياسة الصمت العربية والدولية . كما يجب أن لا ننسى الشروط المفروضة على التمويل المشروط المقدم من الدول المانحة أو من المنظمات الدولية غير الحكومية التي تطالب الفلسطيني بضبط النفس والتوقف عن التحريض السياسي و الإعلامي ضد الاحتلال و الاستيطان ، بينما يترك المجال لإسرائيل ممارسة كل أنواع القهر الإنساني على شعب اعزل رغم القرارات الدولية والمعاهدات الثنائية دليلا على از دواجية المعايير التي ينتهجها الغرب تجاه قضيتنا وشعبنا

صراعات داخلية في عهد السلطة إذا ما تطرقنا إلى المؤثرات السلبية التي أضرت بالقضية الفلسطينية عموما بما في ذلك المستوى الثقافي ، فلا يمكن أن نتجاهل الانقسام الداخلي الفاسطيني في عهد السلطة نتيجة للانتخابات التشريعية في يناير ٢٠٠٦ ، تلك الانتخابات التي أحدثت شرخا سياسيا وجغرافيا في الساحة الفلسطينية والتي كان لها أثر سلبي على الثقافة الفلسطينية بشكل عام . كان لهذا الشرخ السياسي بين حركة فتح وحركة حماس أثر سلبي على عموم الحركة الوطنية الفلسطينية ما زاد الطين بلة وأدى إلى تراجع الصورة الوطنية الفلسطينية أمام العالم أجمع . هذا إضافة إلى تأثير ها السلبي على الثقافة الفلسطينية بشكل عام فالإبداع الثقافي لا يمكن أن ينمو ويتطور في مرحلة الخلافات والانشقاقات داخل الصف الوطني لذلك لا بد من توجيه الأنظار نحو التناقض الرئيسي مع الاحتلال . ونتيجة لهذا الانشقاق انشغل البعض على المستويين الثقافي والسياسي في رفع درجة التناقض الثانوي مع حماس إلى تناقض رئيسي وخفض درجة التناقض مع الاحتلال إلى المرتبة الثانية. وقد شكل ذلك دليلا على انعدام الرؤيا السياسية ، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع السياسية

والى تراجع ثقافي مضطرد. من الطبيعي أن يتأثر المستوى الثقافي بالمستوى السياسي ، إلا انه لا بد للمثقفين أن يترفعوا عن الانز لاق في المتاهات السياسية والحزبية أو الفئوية . فالرؤيا الإستراتيجية والحلم التاريخي يجب أن لا يخضع للاعتبارات البراغماتية أو لتكتيكات سياسية أنية أو مرحلية تفرض المتغيرات اليومية أو المرحلية والمصالح الحزبية فالمستوى الثقافي يمثل دوما ضمير الأمة وثوابتها أما المستوى السياسي فيعمل ضمن سياسية الأمر الواقع وسياسة الممكن لانجاز المهمة النبيلة الملقاة على عاتقه. فطوبي لأمة وصل مثقفوها إلى سدة الحكم وارتقى سياسيوها إلى مرتبة العلماء والمفكرين والفلاسفة ...